

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا أن { كل نفس بما كسبت رهينة } أي معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره { إلا أصحاب اليمين } فإنهم { في جنات يتساءلون * عن المجرمين { أي يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم : { ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين } أي ما عبدنا الله ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا { وكنا نخوض مع الخائضين } أي نتكلم فيما لا نعلم وقال قتادة : كلما غوى غاوى غوينا معه { وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين } يعني الموت كقوله تعالى : { واعبد ربك حتى يأتيك اليقين } وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [أما هو - يعني عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين من ربه] قال الله تعالى : { فما تنفعهم شفاعة الشافعين } أي من كان متصفا بمثل هذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه لأن الشفاعة إنما تنجح إذا كان المحل قابلا فأما من وافى الله كافرا يوم القيامة فإنه له النار لا محالة خالدا فيها ثم قال تعالى : { فما لهم عن التذكرة معرضين } أي فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك مما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين { كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة } أي كأنهم في نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد قاله أبو هريرة وابن عباس في رواية عنه وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن أو رام وهو رواية عن ابن عباس وهو قول الجمهور وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس : الأسد بالعربية ويقال له بالحشية قسورة وبالفارسية شير وبالنبطية أوبا . وقوله تعالى : { بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة } أي بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم قاله مجاهد وغيره كقوله تعالى : { وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله } أعلم حيث يجعل رسالته { وفي رواية عن قتادة : يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل فقوله تعالى : { كلا بل لا يخافون الآخرة } أي إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها . ثم قال تعالى : { كلا إنه تذكرة } أي حقا إن القرآن تذكرة { فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء الله } كقوله : { وما تشاؤون إلا أن يشاء الله } وقوله تعالى : { هو أهل التقوى وأهل المغفرة } أي هو أهل أن يخاف منه وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأتاب قاله قتادة وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب أخبرني سهيل أخو حزم حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أنه قال : [قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية { هو أهل التقوى وأهل المغفرة } وقال : قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله فمن اتقى أن

يجعل معي إليها كان أهلاً أن أغفر له [ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب و
النسائي من حديث المعافى بن عمران كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطعي به وقال الترمذي :
حسن غريب وسهيل ليس بالقوي ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن هدية بن خالد عن سهيل به
وهكذا رواه أبو يعلى والبزار والبخاري وغيرهم من حديث سهيل القطعي به آخر تفسير سورة
المدثر و الحمد والمنة